

الحاكمة»، تشكل الإطار العام لعملية اجتهاد مستمرة في كل عصر، يقوم بها عقل المؤمن المفسر المجتهد بالعودة إلى النص المقدس . فالمفسر الأصولي، رغم رفضه لبعض التفاسير الموروثة، لا يلجأ إلى التفسير الحرفي، إلا إن تطلب النص المقدس ذلك، . وهو لا يجتزئ من النص المقدس مقطعاً ينتزعه من سياقه ثم يفرض عليه أي معنى حرفي قد يروق له (ويتفق ومصلحته) بل يفسر في إطار ما يتصوره المنظومة الدينية الكلية، وفي إطار النص المقدس في شموله و كليته وتركيبته . كل هذا يعني أن الاجتهادات التي يصل إليها الإنسان ليست هي ذاتها النص المقدس، وإنما تتراوح في قربها وبعدها عنه، ومن هنا تظهر ضرورة تجديد الاجتهاد .

أما الحرفية في التفسير فهي أن يلجأ المؤمن بكتاب مقدس ما إلى التمسك بحرفية النص، دون اجتهاد أو إعمال عقل، وكأن النص يحمل رسالة واضحة مباشرة صريحة مثل القاعدة العلمية، أو اللغة الجبرية، أو الصيغة السحرية، أو الأيقونة التي تفضي بمعناها لمن يتعبد أمامها . . بل كأن النص هو تجسد للإله في العالم، وكأن العالم هو كل عضوي مصمت، لا ثنائيات فيه ولا أسرار .

إن ما يحدث في التفسيرات الحرفية هو أنه يتم إلغاء المسافة التي تفصل بين الدال والمدلول، وتُلغى فكرة الزمان تماماً وتُلغى ثنائية الدنيا والآخرة . فالتاريخ المقدس يصبح سيناريو مادياً مباشراً (صورة طبق الأصل من الواقع) أخذاً في التحقق الآن وهنا (ولذا لا يمكن الاجتهاد في التفسير)، وكل ما ورد في النص المقدس يتحقق حرفياً في ذلك التاريخ . وبالتالي، فإن التاريخ المقدس (المطلق) يصبح هو التاريخ الإنساني (النسبي)، ويصبح النص المقدس أيضاً متطابقاً تماماً مع الطبيعة (قوانين العلم). ولذا، فإن كلام الإله المتجاوز يصبح قوانين الحركة .

ونلاحظ هنا سيطرة الحلولية الكمونية على العالم، كما نلاحظ محو الثنائيات، فالهجوم على لغة المجاز والاستعارة هو هجوم على تجاوز الإله للعالم، وعلى فكرة أن الإله يتجلى في التاريخ والطبيعة دون أن يتطابق معهما أو يكمن فيهما (فثمة علاقة اتصال وانفصال). وهو أيضاً هجوم على إنسانية الإنسان باعتباره كائناً مركباً